الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي -
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مطبوعة بيداغوجية في مقياس: المسرح المغاربي

(محاضرات وتطبيقات)

موجهة إلى طلبة السنة الثالثة ليسانس

تخصص: دراسات أدبية

الأفواج 3/5/6/7/8

إعداد الأستاذة: حسناء بروش

الموسم الجامعي 2019/2020

الدرس السابع: المسرح التونسي (النشأة والتأسيس)

في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، تزوج باي تونس من ممثلة إيطالية تسمة "ستيلا" ، وأطلق عليها اسم "قمر".

دلالة الخبر: أن نفرا من التونسيين هم أمراء الدايات والبايات وحواشيهم كانوا يشهدون المسرح منذ ذلك العهد البعيد بفضل توافد الفرق الإيطالية على قصور هؤلاء الأمراء، وكان معظم ما يقدم من الكوميديات.

أما التونسيون العاديون فقد انتظروا حوالي القرن والنصف قبل أن يشهدوا المسرح والتمثيل في بلادهم. كان ذلك عام 1908م حين قدمت إلى البلاد فرقة كوميدية شعبية يرأسها الممثل المصري محمد عبد القادر المغربي الشهير بـ"كامل وزوز"، ومثلت مسرحية "العاشق المتهم" مقتبسة عن الإيطالية، قم مثلت هذه الفرقة الشعبية ما يربو على اثنين وسبعين فصلا فكاهيا، وانقسمت قسمين: كان على رأس القسم الأول منها "شرفنطح"، وكان من أبرز عناصر القسم الثاني "زكي مراد" والد المطربة المعروفة "ليلى مراد"، وحاول التونسيون من بعد تكوين فرقة مسرحية تشرف عليها جمعية سميت "النجمة"، ولكن المحاولة لم تخرج إلى حيز التنفيذ. وفي أواخر 1908م وفدت على تونس فرقة الممثل اللبناني المعروف "سليمان القرداحي"، وقدمت العديد من المسرحيات، وقد أثارت هذه الفرقة اهتمام التونسيين المثقفين بفن التمثيل والإمكانات الكبيرة التي يحملها من النواحي الأدبية والثقافية والفنية، وأيضا كوسيلة للرقي بالوطن والحفاظ على اللغة العربية والثقافة العربية في وجه محاولات الاستعمار الفرنسي لمحق هذا كله. وتوالت من بعد جولات الفرق المصرية، فجاءت "فرقة الشباب المصري" وعلى رأسها "إبراهيم حجازي" سنة 1909م، وقدمت نخبة من المسرحيات التي كانت تعرض في مصر آنذاك إلى جانب فرقة "محمد المغربي".

في عام 1912م تأسست "جماعة الشهامة العربي"، وكانت قد سبقتها "جماعة الآداب العربية" عام 1911م، وقدمت الفرقتان العديد من المسرحيات التي كانت تعرضها الفرق المسرحية المصرية، ثم حدث على الساحة التونسية حدث مهم بالنسبة لمستقبل المسرح التونسي ألا وهو زيارة فرقة "جورج أبيض"

لتونس سنة 1921م، وتقديمه لمسرحيات عالمية معروفة. ومع أن الفرقة لم تلق نجاحا ماديا كبيرا، إلا أنها تركت أثرا فنيا وثقافيا ملحوظا، فقد اتفقت فرقة الآداب مع الفنان الكبير على أن يعطي الفنانين التونسيين دروسا في التمثيل والإخراج، فعرف الجمهور التونسي بذلك نوعا من التمثيل مخالفا للفن الذي قدمته فرقة "سليمان القرداحي" و"سلامة حجازي" والذي كان يعتمد على المبالغة في الحركة وعلى الصوت العالي الفخيم، وعلى تملق رغبات الجمهور.

في فترة الأربعينيات من القرن الماضي كان هناك نشاط مسرحي كبير يمثل الفنان "خليفة اسطنبولي" حزءا مهما فيه، فقد كان كثير الاتصال بجمعيات مسرحية في تونس، وامتد نشاطه إلى جمعيات عديدة، ليشمل تأليف مسرحيات عن أحداث التاريخ التونسي والتاريخ الإسلامي، فكتب مسرحية "المعز لدين الله الصنهاجي" إضافة إلى مسرحية "سقوط غرناطة" اللتان عرضتا سنة 1940م.

يمكننا القول أن مسرحية "المعز لدين الله الصنهاجي" محاولة لا بأس بها للنظر في التاريخ والتراث وإن كان ينقص كاتبها عمق النظر إلى الشخصيات والأحداث والقدرة على التحكم في المادة المقدمة.

في الخمسينيات من القرن الماضي نجد المسرح التونسي ما يزال يصطدم ببعض العقبات التي مرت بها مسارح عربية وغربية، وأهمها عدم توافر العنصر النسوي، وقد كون "المنصف شرف الدين" جمعية المسرح الحديث سنة 1959م وكان جل أفرادها نساء ورجالات أقارب يستطيعون العمل مع بعضهم البعض بينما قد يستنكفون العمل مع أغراب، وقد نجحت التجربة نجاحا باهرا فقدمت الفرقة مسرحيتي: "عيطة وشهود" و"مدرسة الأزواج"، وقد سمح "المنصف" لزوجته المثقفة بالقيام بأحد الأدوار في مسرحية "عيطة وشهود".

تغير الموقف في المسرح التونسي تغيرا دراماتيكيا بعد الحكم الوطني، وبخاصة بعد اللقاء الذي تم في نوفمبر 1962م بدار الإذاعة والذي حضره إطارات المسرح التونسي ليستمعوا إلى توجيهات رئيس الجمهورية السيد "الحبيب بورقيبة" الذي رأى في المسرح نموذجا صغيرا للوطن وهو كما قال يعتبر نفسه أحد أعضاء أسرة المسرح لأنه صعد الخشبة ومثل وعرف الشعور الذي يمتلك الممثل حين يواجه الجمهور.

وفي جانب آخر انطلق التأليف المسرحي في تونس في درب أكثر نضج مما شهدته البلاد من قبل، فجاءت مسرحيات "مراد الثالث" للكاتب "لحبيب أبو العراس" وغيرها، والتي أخرجت في صيف 1966م، ووضع فيها فنان المسرح التونسي الملهم "علي بن عياد" كثيرا من فنه الجميل.

وقد قدر "مصطفى الفارسي" عدد ما ظهر من مسرحيات مابين 1966و1971م بما يزيد على خمسمائة مسرحية وعلق على هذا الرقم الكبير قائلا: "شتان بين الكم والكيف".

أما في فترة السبعينيات من القرن الماضي فقد أخذت تظهر مسرحيات واحد من أيرز وأعمق كتاب المسرح في تونس ألا وهو "عز الدين المدني" الذي حاول أن يقدم المسرحية العربية الشكل والمضمون، المستندة إلى أعمق ما ترسب في وجدان المتفرج العربي من أفكار وأحاسيس وصور، وقد بدأت هذه المحاولة عام 1968م حينما أخذ فريق من المسرحيين الشباب في تونس يفطنون إلى أهمية استخدام مأثورات الشعب في موضوعات لمسرحيات يرجى أن تجذب اهتمام الجمهور الواسع إلى العروض المسرحية، ومن ثم قام كل من "سمير العيادي" و"محمود أرناؤوط"، و"محمد رجاء فرحات" بإعداد مسرحيات شعبية على أساس إحدى القصص التي وردت في كتاب لعز الدين المدني بعنوان "خرافات"، أي قصص شعبية. أما المسرحية فاسمها "راس الغول" وهي تقدم قصة الكافر راس الغول وتصور أحداث حربه مع الإمام "علي بن أبي طالب" عليه السلام، وهي الحرب التي انتهت بنصر جيوش المسلمين. يقص هذه القصة ويمثل أحداثها "المداح" راوية الشعب التقليدي، ويتدخل في روايته المؤلف بين الحين والحين معلقا ومصححا، ثم يجعل المؤلف لهذا كله إطارا من قصة واقعية حدثت لامرأة وابنتها، فقد سافر زوج المرأة وطالت غيبته ، فاطرت الزوجة إلى طلب الطلاق منه على أساس أنه غاب غيبة غير منقطعة، ثم يظهر الزوج في بعض مشاهد المسرحية يبحث عن عمل بلا جدوى حتى يضطر إلى الانتحار في النهاية. أما البنت فإنها تهرب وراء أحلامها وتلحق براس الغول باحثة عن المال والجمال والرفاه، ويهمس لنا بأنها ستكون ضحية التغرير.

والمسرحية تطبع الواقع على أحداث القصة الشعبية أو تخلط الخيال بالحقيقة، وتلمح إلى احداث من الحاضر الواقع وتنسد إلى راس الغول برنامجا اقتصاديا فيه ملامح اشتراكية، ثم تغمر هذا كله في فوضى متعمدة.

هذه إذن هي عناصر المسرحية الشعبية من رواية وتمثيل وكسر للإيهام ومخاطبة مباشرة للجمهور، وإلى جوار هذا كله نلفت النظر أن هذه هي أول محاولة في تونس لتفسير التراث على أساس اقتصادي علمي، وهي محاولة تلقفها من بعده عز الدين المدني وأخذ يعمق فيها وينظر إليها من زوايا متعددة عبر عنها في مسرحياته.